مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

السنة السابعة، العدد 24
المجلد الثاني، ديسمبر 2024

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

Arcif
Analytics

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث

14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.

15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.

16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.

17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر

18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.

19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيئـــة الـتحريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري

أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري

أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني

أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري

أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي

أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء

استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري

أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان

سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

البنى السردية في كتاب «قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس)» للثعلبي427هـ

Narrative structures in the book "Stories of the Prophets called (Brides of Councils)" by Al-Thaalabi 427 AH

د.شريفة بنت إبراهيم بن محمد بن طالب
أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية بالخرج، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، المملكة العربية السعودية
https://orcid.org/0009-0002-1386-2526

Dr.Sharifa bint Ibrahim bin Muhammad bin Talib
Associate Professor of Literature and Criticism,Department of Arabic Language and Literature, College of Education in Al-Kharj, Prince Sattam bin Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2024/09/04، تاريخ القبول: 2024/11/27، تاريخ النشر: 2024/12/17)

المستخلص

تتسع البنية الحكائية في قصص الأنبياء، من خلال انزياحها عن مصدرها الأساسي وهو القرآن الكريم المتفرد بإيجازه وإعجازه؛ لتستقر في كتب قصص الأنبياء بكثير من التفصيل والإضافات والتفسير والشرح والتعليل، ومن أهداف تلك القصص الإمتاع والتسلية، فضلا عن الوعظ والإرشاد؛ لكن بعضها يذهب إلى التفنّن في رواية الأخبار وتزيينها بالأساطير والخرافات وأشكال من فنون الأدب والخيال، مما جعلها تقترب من الأدبية والإبداع؛ ومن أبرز تلك المؤلفات «قصص الأنبياء» المسمّى بـ(عرائس المجالس) للثعلبي. وقد واجه الثعلبي موجة من الانتقادات والتهم والهجمات ممن أنكر عليه طريقته في الكتابة، ذلك النقد ناجم عن اهتمامه بالأخبار والحكايات الغريبة والعجيبة، وخروجه عن الإسناد كما عند علماء الحديث، واعتماده في رواياته المتعددة على الإسرائيليات، مما أتاح له الاستغراق في الخيال، والولوج في الأدبية، وقد أحال كتاب الثعلبي بدءا بعنوانه على طبيعة منهجه، كمفردة المجلس، ومفردة العرائس، فتميّز عن سابقيه وأهل زمانه الذين اعتنوا بهذا النّوع من القصص واهتموا به.

الكلمات المفتاحية: قصص الأنبياء، السرد القديم، البنية، الأدبية.

Abstract

The narrative structure in the books of the stories of the prophets differs from that in the Holy Quran, which relied on suggestion and brevity. The most famous of these is Al-Tha›labi›s book, Stories of the Prophets, called (The Brides of the Council), which generally aims to entertain and amuse, in addition to preaching and guidance, but some of them go to the art of narrating the news and embellishing it with myths and legends, and forms of literary and imaginative arts. Al-Tha›labi is one of the most prominent who excelled in narrating the stories of the prophets and embellished them with strange and wonderful news and tales. His book, from the title, contained evidence that foretells his literary approach, such as the word council and the word brides. Al-Tha›labi was distinguished from his predecessors and successors, who wrote and cared about this type of stories, and relied in constructing the stories of the prophets on a set of narrative techniques, which the research sought to uncover in three axes: First: The literary nature of the stories of the prophets, Second: The levels of narrative storytelling, Third: The deep and superficial structure of the stories.

Keywords: Stories of the Prophets, Ancient Narrative, Structure, Literature.

للاستشهاد: طالب، شريفة بنت إبراهيم بن محمد (2024). البنى السردية في كتاب «قصص الأنبياء المسمى (عرائس المجالس)» للثعلبي427هـ. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل* 02 (24)، ص173 – ص184.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

شهدت القرون الإسلامية الأولى تشكّل العديد من الأجناس الأدبية. وتُعدّ قصص الأنبياء من أبرز تلك الأجناس التي تناولها الرواة والكُتّاب بالبحث والتقصي. فقد عمد المؤلفون إلى توظيف الرموز والأساطير القديمة؛ مما أدّى إلى الخروج عن مقتضيات النص الديني (القرآن الكريم) وخصائصه الفنية، وابتداع شكل سردي جديد مختلف عن الأشكال السابقة بما تضمنه من غرائب وأعاجيب، وقد أفاض عدد من الباحثين في مناقشة إشكالية تصنيفها، فمنهم من ذهب إلى أنها من القصص الديني، ومنهم من اعتبرها من السيرة الغيرية، إلا أنهم لم يختلفوا على أنها من جملة الأدب ومن صميم الأدبية (الضامر، 2009، ص. 58-57).

فمنذ مطلع القرن الخامس الهجري، انطلقت مرحلة تدوين المرويات الكبرى، فظهرت مجموعة من المؤلّفات من بينها كتاب (قصص الأنبياء) لابن مُطرّف الطرفي، و(قصص الأنبياء) للكسائي، كما صنّف الثعلبي (427هـ) كتابه (قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس) فنال به حظوة لدى علماء عصره، فافتتنوا به وأثنوا عليه ومدحوه، إلا أن فئة أخرى من المعترضين على كتابه قدحوا فيه ولم يستحسنوه.

ويعدّ كتاب الثعلبي في نظر أحد هؤلاء العلماء «حلقة مهمّة داخل سلسلة الرّوايات والكتابات المُتعلّقة بالسّرديات الدينيّة في الإسلام الوسيط، فخطابه له خصوصيّة بالنّسبة إلى الكتابات العديدة التي تطرّقت للموضوع نفسه قديمًا وحديثًا» (مرداس، 2013). كما أجمع علماء عصر الثعلبي ومن جاء بعدهم على علو كعبه ورفعة منزلته عندهم لسعة علمه وبصيرته الثاقبة وإلمامه بعلوم شتى. ومن ذلك شهادة الواحدي فيه وإطرائه عليه، إذ اعتبره «حبر العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل بدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأئمة بل صدرهم، فمن أدركه وصحبه علم أنه كان منقطع القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته؛ ليستدل بها على أنه كان بحرًا لا ينزف، وغمرًا لا يسبر» (ابن تيمية، 1980، ص.66). وهو في نظر الذهبي» الإمام الحافظ العلامة، شيخ التفسير، كان أحد أوعية العلم، وكان صادقًا موثقًا، بصيرًا بالعربية، طويل الباع في الوعظ» (الذهبي، 2006، ج2، ص. 17). أما السبكي فاعتبره «أوحد زمانه في علم القرآن، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام» (السبكي، 1992، ج4، ص.58). وعدّه» ابن الصلاح والنووي من فقهاء الشافعية، وكان إمامًا في اللغة والنحو» (الإسنوي، 2002، ج 1، ص. 159). لقد كان بحقّ» أوحد أهل زمانه في علم القرآن، حافظًا للّغة، بارعًا في العربية، واعظًا، موثقًا» (الداودي، 1982، ج1، ص.66).

ومثل هذه الآراء الموضوعية التي أثنت عليه أذيعت بين الناس؛ ليعرفوا فضله على الإسلام وأهله. لقد اشتهر عند أهل الاختصاص بالحافظ وشيخ المفسّرين وهذه الصفات لا تطلق إلا على من تبحّر في علمي الحديث والتفسير، وأُوتي سعة في معرفتهما، وبسطة في تفهّمهما والوقوف على دقائقهما، فمن تحلى بهذه الصفات؛ قُبِلت أقاويله، غير أن المستحقين لها يقلّ معدودهم ويعزّ (البغدادي، 1983، ص. 43).

أما الفئة المعترضة على الثعلبي فمنها؛ ابن تيمية الذي انتقد جرأة الثعلبي –خاصة في كتابه قصص الأنبياء (عرائس المجالس)– واصفًا إياه «بحاطب ليل» (ابن تيمية، 1986، ج7، ص. 90). وأشار إلى أنّ «علماء الجمهور متفقون على أن ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به» (ابن تيمية، 1986، ج4، ص. 25).

ورغم تلك الاعتراضات فقد اقترن اسم الثعلبي باسم الكسائي، إذ أضفى كلاهما على قصص الأنبياء استقلالية في التناول والتأويل، وقد نبّه على أهمية الكتاب وشهرته عدد من كُتّاب التراجم والطبقات، ونظن أن شهرة الثعلبي سببها اهتمامه بمادّة التفسير، وتحرّيه الشمولية في حكيه، وكثرة الأخبار العجائبية المكوّنة لقصصه.

ويتبوأ الثعلبي في معظم الترجمات منزلة المفسر قبل الراوية، إذ اهتم بالتفسير أولًا ثم دوّن «العرائس» فيما بعد؛ فالقصص ذاتها مضمنة في التفسير؛ ولكن وفق مقدار وفرتها يورد النصّ القرآني وتجري عملية التفسير؛ مما يُثير الكثير من التساؤلات عن أغراض الكتاب ومحمولاته (مرداس، 2007). وقد جاء عن أحد الباحثين في قصص الأنبياء قوله: «إن أغلب من دوّنوا قصص الأنبياء اشتغلوا على التفسير، ووضعوا فيه مؤلفًا كالثعلبي وابن كثير، ثم لما انتهوا من التفسير ألّفوا في قصص الأنبياء؛ مما يؤكد أن مقصدهم فيها ليس دينيًّا خالصًا، وإنما كانوا مدفوعين إلى الإمتاع واللذة، وكان همّهم جمع الغرائب والعجائب وما يتبع ذلك من جمال النص وأدبيته» (الكواز، 2008، ص.60).

وبعد فإن هذا البحث يأتي استكمالا لمجهودات بحثية قمت بها في دراسات قصص الأنبياء، وللعلماء والباحثين المعاصرين جهود مقدرة

حول قصص الأنبياء، ومن أهم ما عثرنا عليه من دراسات سابقة أفادت هذا البحث ما يلي:

- **مملكة الباري:** السرد في قصص الأنبياء، لحمد كريم الكواز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008. وهذا الكتاب وإن كان يحوي الكثير من النظرات السديدة؛ لكنه يفتقر إلى الكثير من المنهجية والتعمق، وينقصه الكثير من وضوح المنهج والتقصي والشمول العلمي.
- **قصص الأنبياء في التراث العربي «تحليل سيميائي سردي»** لسمير بن عبدالرحمن الضامر، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2009. انصب فيها اهتمام الكاتب على دراسة الدلالة، وما وراء المتن، ورمزية قصص الأنبياء، ودراسة المنامات فيها. فهي دراسة سيميائية أنثربولوجية في مجملها، لم تتطرق للبناء السردي أو أي من عناصره.
- **بناء المتخيل في قصص الأنبياء للثعلبي**، لعبدالإله رابحي، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، كلية الآداب، الدار البيضاء.

- **سرديات قصص الأنبياء، الراوي والخطاب، كتاب عرائس المجالس أنموذجا**، (رسالة دكتوراه مخطوطة باللغة الفرنسية) عبدالباسط مرداس. وكلتا الدراستين غير متاحة، واطلعت على أجزاء يسيرة منها تدرس القصص بوصفها خطابا رمزيا، وتركز على جانب الأسطورة وما وراء الدلالة.

وقد جاء هذا البحث ليفسر هذه الظاهرة، ويحاول الإجابة عنها. فما مكانة قصص الأنبياء الأدبية؟ ولماذا هوجم الثعلبي وانتقد في كتابه (العرائس)؟ وما موضع قصصه من علم السرد؟ وكيف تشكلت البنى السردية فيه؟

إن مقصدية الإبداع، والخروج عن الحقائق إلى الإغراب والخيال، والانسياق خلف غواية السرد، والتفنن في الأساليب، ظواهر تستحق التوقف عندها والبحث فيها، لذلك ركز البحث على البنى السردية عند الثعلبي، وحاول الكشف عنها من خلال ثلاثة محاور أساسية:

أولا: أدبية قصص الأنبياء

ثانيا: مستويات السرد القصصي.

ثالثا: بنية القصّ العميقة والسطحية.

واستعان البحث ببعض آليات المنهج البنيوي؛ وهو منهج قائم على مجموعة من الأدوات أهمها: الوصف والتحليل والتفسير والتأويل بهدف الكشف عن البنية السردية في هذه المدونة التراثية.

أولًا: أدبية قصص الأنبياء:

أُقتطعت قصص الأنبياء من مصادر متعددة، كالقصص القرآني، والحديث النبوي، والتاريخ القديم، ومن مصادر أخرى متنوّعة؛ كالأساطير والخرافات التي ازدهرت ونمت مع اختلاط الشعوب وتلاقح الحضارات، وتطور العلوم والفنون منذ القرن الثاني الهجري. إذ «استأثرت الخرافة في القرن الثاني باهتمام متزايد من الإخباريين والشعراء والكُتّاب...وزاد الاهتمام بالحكايات الخرافية في القرنين الثالث والرابع، فطبقًا للمؤرخ حمزة الأصفهاني (350هـ)؛ كان في عصره من كتب السمر التي تداولتها الأيدي ما يقرب من سبعين كتابًا يحرّرها النساخ في سوق الوراقين في قلب بغداد، ويتلقفها القراء القادمون من أقاليم دار الإسلام بنهم لا يوصف» (إبراهيم، 2008، ج1، ص.171)، وهذه الكتب والمؤلفات كانت الموجّه الأول للعلماء والمصنّفين للتأليف في قصص الأنبياء.

وتُوحي ظروف نشأة قصص الأنبياء وبواكير تدوينها بغلبة الطابع الفني والمتعة، وتؤكد توجّه مؤلفيها بدءًا إلى العناية بجمال النص وأدبيته، هيّأها لهم انتشار المرويات التوراتية والوثنية وأخبار الأنبياء القدامى. وقد شكّلت الإسرائيليات «مصدرًا مهمًّا من مصادر القصاص؛ إذ الإسرائيليات ما هي إلا تراث الشعوب التي نقل عنها أسلاف اليهود كتاباتهم التوراتية فنُسبت إليهم» (الكواز، 2006، ص.65)، وأغرتهم تلك الإسرائيليات التي غزت الذاكرة العامة، وجرى تضخيمها، وتوسيع دلالتها، وتفريق كثير من أحداثها بين المرويات الخرافية والأسطورية والشعبية، وضاقت وتنزّهت عن تناولها كتب الدين والتفسير؛ فذهبوا ينشدون لها كتبًا مستقلة، وكانت مؤلفات قصص الأنبياء مزيجًا من القص الديني والأسطوري والخرافي، فلم يكن هاجسهم فيها دينيًّا علميًّا؛ وإنما كان جماليًّا أدبيًّا (صابر، 1988، ج2، ص.113).

ومما شجّعهم على ذلك موقف الرسول ﷺ من القصّ، فقد جاء عنه قوله: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، ورُوي عنه ﷺ «حديث خرافة»، وكذلك مضى الخلفاء الراشدون ومن تبعهم من الولاة (إبراهيم، 2008، ج1، ص.110 - 142؛ الكعبي،2005 ، ص. 204)؛ حتى عُقد للقُصاص مجالس وحلق في المساجد، فقد «كان أبو بكر يسمر عند الرسول ﷺ في أمور المسلمين، وأفضل لذات معاوية في آخر عُمره المسامرة، وأحاديث من مضى، فكان يستقدم المسامرين إلى قصره في دمشق لذلك، ومن خلالهم يُعيد بناء ذاكرته بأخبار القدماء، وفي مثل هذه المجالس التي تُعدّ البدايات الأولى للثقافة العربية قبل مرحلة التدوين ظهرت مرويات عبيد بن شرية، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله ابن سلام، وبُعثت الأخبار القديمة» (إبراهيم، 2008، ص.66).

ولئن تشكّلت في السرد العربي القديم أنواع سردية كبرى، منها: الأخبار، والقصة العجائبية، والسير الشعبية، والأساطير والخرافات (الكعبي، 2005، ص.33)؛ فإن قصص الأنبياء عدّت خليطًا من هذه الأنواع، تنتمي إليها وتنصهر معها وتتقاطع في مستوى واحد وهي بعزلها النص عن المصادر المقدسة؛ تمكّنت من الإضافة إليه كل ما هو عجيب وغريب من غير ما حرج.

وقد عقد المستشرق الفرنسي (بروكلمان) صلة بين ثلاثة مؤلفين كتبوا في (قصص الأنبياء)، هم: أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي، وأبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، وأبو عبدالله محمد بن أحمد بن مطرف الكناني (بروكلمان، 1974، ج6، ص.151-154). ويجمعهم على اختلاف آرائهم الكتابة في قصص الأنبياء؛ لذا أدخلهم بروكلمان في (تاريخ الأدب العربي)، والأدب كما قدّم «ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصّله إلى الذاكرة» (بروكلمان،1974، ج1، ص.3).

وقد وجد الثعلبي في قصص الأنبياء فسحة ومتسعًا ليملأ كتابه بكل ما هو عجيب وغريب من مصادر قديمة، وبالبحث المعمّق المقارن بين قصص الأنبياء كما كتبها وهب بن منبه أو الثعلبي أو غيرهم، وبين الأساطير القديمة – أساطير سومر وأكد وآشور– نشأت اللُّحمة التي تشدّ هذه إلى تلك، ويتضح التواشج بينهما (قاشا، 1998، ص.8).

الثعلبي ساردا:

يقتضي فعل السرد حضور الراوي في الحكاية؛ ويختلف الرواة في درجة حضورهم في الحكاية وأساليب تلفظهم؛ فمنهم من يجهد نفسه ليكون حضوره في ملفوظه علنيًّا صريحًا، فيتدخل باستمرار

مفسّرًا ومُقوّمًا ومتأملًا، ومنهم من يؤثر التخفي والتنكّر؛ كأن ينزل عن الكلام للشخصيات مكتفيًا في الظاهر بمجرد التنسيق بين أقوالها. ولكن دراسة العلاقات بين نصه المتقلّص ونصها المتضخّم؛ يكشف عن حضوره المستتر (العمامي، ص.21) ومن النماذج المعبرة عن هذا النمط من الرواة؛ الثعلبي.

إن استغراقه في نقل الضعيف والغريب، وشطحاته العجيبة؛ يؤكد انسياقه خلف فتنة القص وغواية السرد، وأدلّ نموذج على ذلك؛ إيراده قصة (العنقاء ونبي الله سليمان)، وإيراده لحكايتين مما جاء في (ألف ليلة وليلة)، وهي حكايات عجيبة تداخل فيها غرابة حديث الحيوان، مع غرابة المكان والزمان. وقد تكرّرت مفردة العجب في مصنفه أكثر من خمسين مرة (الثعلبي، ص. 23،45،60،77). وأثار الثعلبي قديمًا ملاحظات نقدية لاذعة من ابن الجوزي، وأحمد بن المختار الرازي، وابن تيمية؛ وهذا النقد ناجم عن اهتمامه بالأخبار والحكايات الغريبة والعجيبة، وعدم احترامه الدقيق للإسناد، ورواياته المتعددة للإسرائيليات» (مرداس، 2007).

ويحيل كتاب الثعلبي انطلاقا من عنوانه على منهجه، فمفردة المجلس، ومفردة العرائس، تحمل صورة بيانية استعارية، و»يظهر ولع الثعلبي بالقصص والأخبار العجيبة داخل كتابه العرائس، حيث خصّص لها حيزا كبيرًا، وتوسّع فيها بذكر الإسرائيليات بدون نقدها أو تمحيصها» (مرداس، 2007)؛ وهذا ما يؤكّده الذهبي بقوله: «وقد قرأت فيه قصصًا إسرائيلية نهاية في الغرابة» (مرداس، 2007). والإغراق في العجيب والخيال والصور البيانية، مما جعله يوغل في الأدبية، وهو ما يميز كتابات الثعلبي عن سابقيه، ممن اهتمّوا بهذا النّوع من القصص.

لقد دوّن الثعلبي جميع قصصه في (32) مجلسًا، وخصّ كلّ مجلس بقصّة نبيّ من الأنبياء وأحيانًا أكثر من ذلك؛ باستثناء المجالس الثلاثة الأولى التي تروي أسطورة خلق الكون، وهي بمثابة الافتتاحية أو المقدمة لقصص الأنبياء. ويخضع المجلس لعملية تأليفيّة وتصنيفيّة ناتجة عن مفهوم الكتابة لدى العلماء المسلمين القدامى، فهناك جمع وضبط ووصل بين مجموعة من الوحدات السردية المرويّة عن مجموعة من الرواة، صاغها الثعلبي وفق نسق مُنظّم ومُرتّب؛ فتصبح القصة جمعًا قصصيًّا مُتعدّد المشارب يصبُّ في مصبّ واحد؛ هو إثراء المتن السردي وإغناؤه (مرداس، 2007).

ويروي الثعلبي قصصًا مقتبسة من (ألف ليلة وليلة)، وهو كتاب لم يعرف له مؤلف. ومنها قصة (بلوقيا) ويسندها إلى راو خارجي في قوله: «أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحزرقي بإسناده، عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي» (الثعلبي، 2004، ص. 315)؛ مما يعني أنّ من مصادر قصص الأنبياء (ألف ليلة وليلة)، وأنها لا تقتصر على التراث الإسرائيلي فحسب، وإنما توسعت لتضمّ كتبًا منفتحة على ثقافات أمم متعددة، وهي مفتوحة بما فيها من عجيب القصص وغرائب الأحداث للعجيب والغريب كما ورد في هذه القصة التي يظهر فيها «بلوقيا» في مقايضة العجب؛ فرحلة بلوقيا تمثيل للعجيب. والعجب: حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه، وللغريب: وهو كل أمر عجيب قليل الوقوع، مخالف للعادات المعهودة، والمشاهدات المألوفة التي قامت عليهما حكايات ألف ليلة وليلة؛ فأغرى ذلك عالما كبيرًا مثل الثعلبي أن ينقلها ويضعها في كتابه (الكواز، 2006، ص. 36).

ومن أكثر القصص التي أغرقها الثعلبي بالعجيب والغريب، قصة نبي الله داود عليه السلام حيث حوت كثيرًا من الإسرائيليات عند أكثر المدوّنين، وليس ذلك بمستغرب، إذ عمد الثعلبي إلى تضخيم المعجزات التي منحها الله نبيه داود عليه السلام فخرج الثعلبي بذلك عن النصوص المقدّسة، وسنح له خياله المبدع أن يعضّد كل معجزة بقصة أسطورية للعجيب فيها حظ وفير، ولنبدأ بأول معجزة لداود عليه السلام وهي الصوت الطيب؛ ذلك أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا، وكان «إذا قرأ الزبور برز إلى البرية... إلا على صوته» (الثعلبي، 2004، ص. 244)، فهو يطوّر نواتها ويمطّطها إلى قصة خيالية مدهشة، تدخل فيها العجيب لتكريم نبي الله وتبجيله. ثم في المعجزة الثانية، وهي تسخير الجبال والطير له يسبحن معه، يأتي بروايات عجيبة وغريبة ليثبت مكانة النبي عليه السلام وعظيم قدره.

والملاحظ أن الثعلبي يستند إلى النص القرآني، بوصفه شاهدًا على استقامة خطابه ومشروعيته، فيقول: «كما قال تعالى»، ثم يذكر الآية؛ لكنه في الحال الذي يوهم فيه بأنه مفسّر للنص القرآني سرعان ما ينزاح عن الصورة التي رسمها نصّ الوحي فينفلت النص منه، ويُمسي الثعلبي سجينًا لربقة قوة الحكي، مدفوعًا بمنطق التراكم والجمع إلى أن يكون أسير الخبر والأسطورة، ذلك أن الجبال كانت تُسبّح مع داود كلما اختلى بنفسه هناك للعبادة؛ لكن لما استنكر داود قدرة الله على سماع صوته وتمييزه من بين الأصوات التي تُسبّح معه، ساق الثعلبي القاص خبرًا جاء فيه أن جبريل نزل على داود وعضده، حتى انتهى به إلى البحر، ومن البحر إلى الأرض؛ لينتهي أخيرًا إلى صخرة يكرّها فتخرج منها دودة تنشّ؛ حتى يؤكد له أن الله قادر حتى على سماع نشيش الدودة.

واللافت للانتباه أن الثعلبي قد انطلق في هذا الخبر من إسناد مبهم بصيغة المبني للمجهول (يقال)، وقد خوّل له تحرره من قيد الإسناد أن يأسر القارئ بخياله ويجعله «مستعدًا للاندراج في فتنة النص وما ينشئه من عوالم وأخيلة» (القاضي،1998، ص.333)؛ لأن لذة نص الثعلبي لا تتأتى إلا من هذا الخيال الخصيب المدهش.

وكثيرًا ما يخرج الثعلبي عن نص الوحي والمتون المسندة إلى منطق الخيال والعجيب والأسطورة، منزاحًا عن غاية العظة والاعتبار إلى غاية الإمتاع وأسر القارئ بجمالية النص (الثعلبي، ص.122 وما بعدها).

ومن القصص المستوية فنيًّا، المندرجة في العجيب عند الثعلبي،

(قصة العنقاء) في إثبات القضاء والقدر، وفيها أنطق الحيوان والجان والعفاريت، وتوافرت فيها كل ملامح الخرافة، واندرجت فيها جملة من الأساطير، وهي من القصص المعروفة المشهورة، فقد جاءت كما أسلفنا في (ألف ليلة وليلة)؛ فهي ليست من ابتداعه، ولكنه أضفى عليها من أسلوبه وصياغته، وحسن الترتيب والتنظيم، ما جعلها تحتوي كل مقوّمات القصة العجائبية المتطورة؛ فهي غاية في الإحكام والجمال، يفتتحها بسند مقتضب حيث يقول: «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بإسناده، عن محمد بن جعفر الصادق، قال: عاتب سليمان الطير في بعض عتابه، فقال لها: إنك لتأتين كذا وتفعلين كذا، فقالت: والله رب السماء والثرى، إنا لنحرص على الهدا؛ ولكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره».

وهكذا ينفتح القص على مشهد مهيب يدور فيه حوار طويل بين نبي الله سليمان عليه السلام والعنقاء، وتتراوح فيه الصيغة بين المحكي المباشر وغير المباشر، «قال: صدقت لا حيلة في القضاء، فقالت العنقاء: لست أؤمن بهذا، فقال لها سليمان: ألا أخبرك بأعجب العجب! فقالت: بلى، قال: إنه وُلد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق، هذا ولد ملك كبير، وهذه ابنة ملك، والجارية والولد يجتمعان في أمنع المواضع وأهولها بقدرة الله تعالى على سفاح في جزيرة بوسط البحر، فقالت العنقاء: يا نبي الله، أوقد ولد هذان الولدان المذكوران؟ قال: نعم، الليلة. قالت: فهل أخبرت بهما منهما، وما اسمهما واسم أبيهما؟ قال: بل، اسمهما كذا وكذا، واسم أبيهما كذا وكذا، فقالت العنقاء: يا نبي الله، أنا أبطل القدر وأفرّق بينهما، فقال لها سليمان: إنك لا تقدرين على ذلك، قالت: بلى، فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة». وهكذا ينفتح النص على العجيب «ألا أخبرك بأعجب العجب»، ويصف العنقاء فيقول عجبًا، ويصف المكان فيعجب أيضًا، وهكذا لا يترك شيئًا إلا ويغرق في تفاصيله وأوصافه ويجعله مثارًا للعجيب والغريب.

ويستمر القصّ بين وصف ومشهد ومحكي مباشر وغير مباشر، «فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظمًا، وجهها وجه إنسان، ويداها يد يدا إنسان، وثديها ثدي امرأة، وأصابعها كذلك، فحملت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا؛ فأبصرت كل دار وما فيها، وكل إنسان، وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها، فاختلست الجارية من المهد وطارت بها؛ حتى انتهت إلى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط الجزيرة، وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر إلا بجهد طيرانه، ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن، كأعظم ما يكون على شجر الأرض كثيرة الورق، فاتخذت لها وكرًا في وسط الشجرة عجيبًا واسعًا مضيئًا وطيئًا وأرضعتها، وحضنت الجارية تحت جناحها، وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر، وتؤنسها بالليل ولا تُخبر أحدًا بشأنها كي يتم أمرها».

وهكذا تتوافر مفردة العجب في القصة أكثر من عشرين مرة على امتداد ست صفحات، يقول: «فإذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران، طويلة لا يدري أين منتهاها ولا عرضها، وإذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق، وورقها في عرض آذان الفيلة، تفوح بريح الأقحوان، ليس لها ثمر، بيضاء الساق، فقال لأصحابه: إني أرى عجبًا، أرى جبلًا شاهقًا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله وعرضه، وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها».

ويقول: «وكانت الجارية قد نظرت إلى السفينة وهي جارية فلم تعرف ما هي؛ لأنها أُخذت صغيرة لم تدرِ ما السفن، فبقيت متعجّبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك، فبينما هي متفكّرة في أمر السفينة؛ إذ حسّ الآدمي فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينًا وشمالًا فلم تر أحدًا، فنظرت في أصل الشجرة؛ فإذا بالغلام ورفقته، فتعجّبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا إلى ذلك الموضع، وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينًا وشمالًا وبقي متعجبًا من عِظم تلك الشجرة ورفعها في السماء، وصار ينظر إلى أغصانها، وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر إلى السفينة، فحانت منها التفافة إلى أصل الشجرة، فوقعت عينها في عين الغلام، فرأى الغلام صورتها، ورأى عجبًا من عِظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها، فقال لها الغلام بلسان فصيح: أجنيّة أنت أم إنسيّة؟ قالت: لا والله، أنا من خيار الإنس، فمن أنت؟ فأفهمها لغته... وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر، والله أعلم بالغيب» (الثعلبي، 2004، ص. 299 - 304).

ثانيا: مستويات السرد القصصي

اعتمدت أغلب نصوص الثعلبي في قصص الأنبياء في بناء هياكلها على تداخل مستويات السرد؛ ويعني أن تظهر إلى جانب القصص الرئيسة قصة ثانوية، هي في رأي «تودوروف» أقل اندماجًا في مجمل السرد من القصص الرئيسة (تودوروف، 1994، ص.72)، أو هي نوع من القصص يعترض في ثنايا قصة أخرى، ويظهر كأنه استرسال للقصة الرئيسة (وهبة، 1979، ص. 291).

وقد يحصل تعدد مستويات السرد من تشكّل سلسلة من القصص القصيرة المتتالية، التي «تكون في العادة محصورة داخل قصة قصيرة تؤطرها «(تودوروف، 1994، ص.141). وإدراج قصة مختلفة في قصة رئيسة لا يكون لمجرد الجمع والكثرة، بل توجبه أمور عديدة توافرت عليها جميع تلك القصص، فأصبحت أسبابًا تستدعي إدراجها ضمن قصة رئيسة تحتويها، ومنها أنّ تلك القصص تدور حول فكرة واحدة، وتجمعها إما شخصية واحدة أو مكان أو زمان واحد، فظهور مستويات السرد في هذا النوع من القصص لم يأت من كثرتها وتواليها؛ بل من ترابطها وتتابعها المنطقي.

وسنقف عند تلك المستويات، أو البنيات الكبرى والصغرى في قصص الأنبياء للثعلبي، ونتناول العناوين والاستهلالات، بوصفها مداخل إلى تلك البنى.

1 – العنوان بوصفه بنية سردية:

أصبح تحليل العنوان، بوصفه جملة قصيرة، ذا أهمية بالغة؛ فهو يضطلع بوظائف شكلية وجمالية ودلالية اتخذت مدخلًا لنص كبير، وهي علامة لغوية دالة؛ أضفت على النص الذي يتصدره ويتوجه دورًا إعلاميًّا ودلاليًّا مهمًّا وأساسيًّا (المطوي، 1999، ص.455). وهذا أمر بديهي، فهو في نظر المؤلف بمنزلة الوجه للإنسان، فكما يُخلق الوجه الذي يُشاهد لأول مرة انطباعًا أوليًّا إيجابيًّا أو سلبيًّا تجاه حامله؛ فكذلك يخلق العنوان لدى المتلقي فضولًا لقراءته، أو نفورًا لعدم لمسه (الكبيسي، 1999، ص.30). إنّه البنية الدلالية الأولى المتشكّلة في النص، والتي منها ستتفرع بقية الأنساق الدلالية في تتابع مستمر، لاسيما أن هذه الأنساق لا تلبث أن تتجمّع في العنوان مرة أخرى؛ بوصفه بؤرة الاستقطاب الدلالية التي تُعلن عن هيمنتها منذ الوهلة الأولى على النص كله، بتشعّب أفكاره وتناميها (العجيلي، 1971، ص. 218).

والعنوان –أيًّا كان عمله– يدلّ بمظهره اللغوي من الصوت إلى الدلالة على وضعية لغوية شديدة الافتقار، ولا يتجاوز حدود الجملة إلا نادرًا، وعلى هذا الافتقار اللغوي فإنه ينجح في إقامة اتصال نوعي بين المرسِل والمُستقبِل (الجزار، 1998، ص.21). ومن الناحية الشكليّة يؤدي العنوان وظيفة إشهارية للمؤلّف؛ فهو الباب الأول الذي يلج منه القارئ إلى عالم الكتاب، ويتحدّث إلى القارئ ويطبع استطلاعه ويدفعه إلى القراءة. والعنونة في كتاب قصص الأنبياء على قسمين: العنوان العام أو عنوان الكتاب، والعناوين الجزئية أو الفرعية لكل قصة أو فصل أو مجلس، ولم تظهر الفنية في كل عناوين فصول كتاب عرائس المجالس.

ويمكننا القول بدايةً: إن عناوين قصص الأنبياء للثعلبي ليست في مستوى عالٍ من الإبداع، وإنما الغالب عليها أنها جرت جريانها على ما كان عليه المدوّنون في تلك القرون، من وضوح الدلالة، واشتمالها على صنوف البديع، وأنها كانت تتبع لسُنّة عامة في العنونة، عُرف بها المصنفون في تلك القرون.

ويستوقفنا أولًا العنوان العام (عرائس المجالس)، حيث يلاحظ القارئ لكتب الثقافة العربيّة الإسلاميّة القديمة الاهتمام الذي يوليه العلماء والأدباء والمؤلفون القدامى لاختيار عناوين كتبهم، فهناك كميّة هائلة من العناوين المسجوعة والمنمّقة، التي استدعت من مؤلفيها جهدًا في الاختيار، واعينَ بمكانة العنوان وجاذبيته. وتطالعنا كتب القدامى بعناوين منمّقة مزخرفة، تحلّق في الخيال وتجنح إلى الأدبية، وتؤدي اللغة بروافدها من استعارة وتشبيه ومجاز وبديع في هذه الاستعمالات دورًا أساسيًّا (مرداس، 2007)، ومنها العبارة الشيّقة التي اختارها الثعلبي لتكون عنوانًا لكتابه (عرائس المجالس).

لقد اختار الثعلبي لمؤلفه عنوانًا أراد أن يجذب به مخيّلة القارئ، مركّبًا من شقّين، شقّ يُشير إلى الموضوع (قصص الأنبياء)، وشقّ جمالي في صورة استعارية (عرائس المجالس)، فهناك جانبان: أحدهما جمالي، والآخر موضوعي، وعند النظر للمعنى المُعجمي للجانب الجمالي للعنوان؛ يتضح أن له علاقة ببنية الكتاب السردية، فكلمة (العرس) بالتحريك تعني الدهش، والعبارة «عرّس الرجل عرسًا، فهو عرس فتعني بطر، وأعرس فلان: أي اتّخذ عرسًا، والعروس نعت يستوي فيه الرجل والمرأة، والمعرّس الذي يسير نهاره، ويعرّس: أي ينزل أول الليل (ابن منظور، 1414، ع–ر– س)؛ فهناك تعدّد في المعاني حسب السياقات والاستعمالات والتأويلات، فما دلالة ذلك عند الثعلبي وهو يستعمل كلمة (عرائس)؟

وتحيل كلمة (المجالس) التي تحكي قصص الثعلبي على المكان العامر بالجلاس، كما تتصل بفكرتين؛ فكرة الدهش والمحاور المعنوية التي تحفّها، وفكرة الزواج والمتعة والجمالية التي ترمز إليها، فقصص الأنبياء كما تروى داخل كتاب العرائس؛ لها جمالها ومتعتها السردية، ويمكن أنه يريد إخراج طريقته في سرد قصص الأنبياء ووضعها بطريقة استعارية، بحيث تختلف عن الروايات الأخرى للقصص نفسها. «وهذه العملية استعملها الكتّاب العرب القدامى من أجل إعطاء كتبهم نوعًا من الإشهار والتميّز» (مرداس، 2007).

أما الجزء الثاني من العنوان (قصص الأنبياء)، فقد وردت هذه العبارة كثيرا في عناوين لكتب القدامى، عنوانًا لمجموعة من الكتب المُتعلّقة بقصص الأنبياء؛ ومرتبطة بكلمات قرآنية لها دلالاتها العميقة، وبذلك أصبحت تدلّ على هذا النوع من المرويات.

2 – بنية الاستهلال السردي:

الاستهلال جزء مهم من أجزاء النص السردي، يُقصد به بدء الكلام، ويناظره في الشعر المطلع، ويهيئ القارئ للغرض الرئيس من الكلام. ولأهمية الاستهلال ودوره في جذب انتباه السامع والقارئ، وشده إلى الموضوع؛ فقد توجب على السارد الاعتناء به وتحسينه.

وكيفما صيغ الاستهلال، فإنه يتصدر الخطاب الأدبي ويتشكّل استنادًا إلى طبيعة ذلك الخطاب ونوعه ومقصده (عبيد، 2002، ص. 48)، ويحتاج السرد إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ، تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة إلى اللوحة؛ لذلك تتكرر عبارة (زعموا أن)، و(بلغني أن) عن بداية السرد، وتحدّد نوعه؛ وهي عبارة دالة على أن السرد القديم والشعبي يحرص كل الحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة، تماما كما يمنح السرد القديم أهمية للخاتمة تأكيدا على نهاية الحكاية وتثبيتا لأهمية الإطار (كيليطو، 1988، ص. 34).

البداية الكبرى:

تعتبر قصص الأنبياء قصة واحدة، حدثها واحد ومضمونها واحد؛ فهي قصة الوجود؛ قصة خلق السموات والأرض، وقصة الصراع بين الخير والشر، قصة أنبياء الله ورسله مع أقوامهم.

كل من خَبِر أساليب القصّ أظهر براعته في الدخول إلى عالم القصة، وأبدى مقدرته على الإبداع؛ فلابد في بداية كل قصة أن يقدم القارئ من المعلومات يفسر منطق سير القص من خلال افتتاحية ينفذ منها القارئ إلى عالم القصة، ويطلعه على علم النبوة والبعث ليتمكن من فهم خيوط اللعبة السردية. وتعدّ الافتتاحية من ضرورات القص، من حيث تقديمها للشخصيات، وللفضاء الزماني والمكاني للشخصيات وهي تقوم بالأحداث (الكواز، 2006، ص.180)؛ وبذلك ظهر لنا افتتاحيتان، الأولى: كبرى لكل القصص، والثانية: صغرى للقصة الواحدة.

وافتتاحية قصص الأنبياء الكبرى هي بدء الخلق، وهي تلبي شروط الافتتاحية من حيث اشتمالها على الزمان الماضي والمكان، ذلك أنّ الأحداث تبدأ من حيث تنتهي الحكاية وتكتمل، وهي تمهّد لقصة الإنسان النبي، بدءًا بأبي الأنبياء آدم عليه السلام وتحتوي الافتتاحية الكبرى عند الثعلبي على ثلاثة مجالس: مجلس في صفة خلق الأرض، ويضمّ سبعة أبواب، ومجلس في خلق السموات، ويضمّ سبعة أبواب أيضًا (الثعلبي، 2004، ص ص. 3 - 10).

ويُفصّل الثعلبي في الافتتاحية، كما يُركّز على الزمان والمكان، ويذكرهما «فيما زين الله به الأرض»: أي أن الزمان والمكان زينة مضافة إلى الأرض، ويُفصّل في أنواع الحيوانات والنباتات والجمادات، وهو ينطلق من التصوّر الإسلامي للوجود. ثم يعقب ذلك تفصيل عن شخصيات الأنبياء والأولياء الصالحين، فلكل نبي مجلس، وقد يكون أكثر من ذلك، بحسب طول القصة وقِصرها.

البداية الصغرى:

فهي التي تقدّم لقصة النبي من الأنبياء – عليهم السلام– أو من سواهم، وهي تتفاوت بحسب أحداث القصة؛ فتكون إما مختصرة أو مفصّلة، مختصرة في القصة القصيرة، وتكون مفصّلة في القصص الطويلة، وتمهّد للقص، ويستمر انطلاقًا منها، وتربط القصّ بما سبقه، وتعمل على تسهيل تصوّر قصص الأنبياء المتعددة على أنها قصة واحدة (الكواز، 2006، ص. 183).

ونمثّل لذلك بافتتاحية قصة موسى، وهي من القصص الطويلة، تقع في عشر صفحات من سبعين صفحة عند الثعلبي، وقد بدأها بالإشارة إلى موت الريان بن الوليد، ملك مصر في زمان يوسف، ثم بذكر نسب موسى، ثم أورد معلومات كثيرة عن أبي فرعون، وعن فرعون، ورؤى وآيات رآها فرعون قبل مولد موسى، ثم ميلاد موسى، وحديث عن أم موسى، وآسيا ابنة عمران؛ وهكذا جاءت الافتتاحية لتمدّ القص المقبل بعناصر القص المتتابع، مما يعطي انطباعا الأحداث التي تضمّنتها المراحل اللاحقة من القصة، وعن الشخصيات التي تظهر فيها؛ فكأنها معروفة عنده سلفًا.

ولا تخرج استهلالات قصص الأنبياء عند الثعلبي عن ثلاثة إلا نادرًا: فهي إما أن تستهل قصة النبي بذكر نسبه، وهذا كثير، كقوله في مجلس قصة إبراهيم عليه السلام والنمرود: «وهو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ ابن ارغو [...]» (الثعلبي ،2004، ص.74)، وقد يطول النسب فيمتد إلى أسطر، وقد يقصر كقوله في مجلس في ذكر صفي الله ونجيه موسى ابن عمران عليه السلام: «وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام. قال أهل العلم بأخبار الأولين وسير الماضين: وُلد ليعقوب لاوي، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة [...]» (الثعلبي، 2004، ص. 168). أو يستهلها بآيات قرآنية عن القصة، وهذه الافتتاحية الغالبة في سرده، كقوله عند ذكر ثناء الله على عبده وخليله إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (الثعلبي 2004، ج1، ص.119؛ القرآن الكريم، سورة البقرة: 118)، ثم شرع في ذكر فضائل إبراهيم عليه السلام.أو ذكر الحدث المهم في مسيرة حياة النبي ونبوته؛ مما يؤكد حنكة الثعلبي في السرد وسعيه لتنويع صيغه وأساليبه، وإضفاء مسحة جمالية على نصوصه.

وقد يبدأ الاستهلال بآية ثم يذكر النسب، حيث يقول الثعلبي في مفتتح مجلس: في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [القرآن الكريم، الكهف: 83]، ثم أفاض في ذكر نسبه (الثعلبي، 2004، ص.362).

ويقول الثعلبي في مستهل قصة لقمان الحكيم عليه السلام:» قال الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة [القرآن الكريم، لقمان: 12]، ثم أفاض في ذكر نسبه وخلقته وذكر صفاته، (الثعلبي، 2004، ص.350). وكثيرًا ما تنتهي القصة بوفاة النبي أو بعبرة أو موعظة، على نحو ما جاء عن الثعلبي في ختام قصة هود عليه السلام: «وبقي هود ما شاء الله، ثم مات وعمره مئة وخمسون سنة «(الثعلبي، 2004، ص.67).

ثالثا: بنية قصص الأنبياء السطحية والعميقة

تتألّف قصص الأنبياء من بنى سطحية وأخرى عميقة،– سنقف أولا عند البنية العميقة لأهميتها وعمقها– وتتجلى في مستوى حضور الأنبياء في (قصص الأنبياء)، فبعضهم حظي باهتمام كبير، في حين ورد ذكر بعضهم الآخر عَرَضًا، ولم نجد للرسول محمد ﷺ قصة أو مقاطع قصصية تتعلّق به إلا نادرًا، أما: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، ولوط، ويوسف، وداود، وسليمان؛ فحضورهم مكثّف وقوي في مدوّنات قصص الأنبياء، حيث تعدّدت قصصهم وطالت، وتقصّيت جميع مراحل حياتهم، وبعض هؤلاء جاء ذكرهم عَرَضًا؛ مما يدعو إلى التساؤل عن سبب ذلك الحضور المكثف لهؤلاء الأنبياء ،وتغييب عدد منهم أو ذكره عرضا، فعلى أي أساس وقع التركيز على بعض الأنبياء دون غيرهم؟ وهل لعامل الزمن دور في تحديد ذلك الاختيار؟ بحيث يمكن القول: إنه بقدر بعد زمن بعثة النبي ﷺ عن زمن الكتابة كان المؤلف بحاجة إلى المزيد من المعطيات حول قصته، أم هل يعود الأمر إلى مدى تأثير رسالة النبي في تغيير قومه؟ وهل يتعلّق الأمر بحضور أصحاب الديانات السابقة وفاعليتهم زمن الوحي وغياب آخرين؟

وأغلب الظن أن العناية بقصص بعض الأنبياء، وما تلا ذلك من التركيز على تفاصيل قصصهم وتتبّع ما جاء عنهم، والإحاطة بكل ما ورد عنهم؛ يرجع إلى تلك الأسباب مجتمعة، ويتعلق أكثر بقوة تأثير رسالة النبي في تغيير البنية الاجتماعية والأخلاقية والفكرية في البيئة التي عاش فيها، وفي قوة تحقّق المعجزات في نبوته، ومستوى كثافة حضوره في النص القرآني، لقد ورد ذكر موسى عليه السلام في أربع وثلاثين (34) سورة، وورد إبراهيم عليه السلام في أربع وعشرين (24) سورة، ونوح عليه السلام في ست وعشرين (26) سورة، وورد لوط عليه السلام في أربع عشرة (14) سورة، وورد عيسى عليه السلام في ثلاث عشرة (13) سورة، بينما ورد يوسف عليه السلام في ثلاث (3) سور، وامتدت قصة موسى عليه السلام في القرآن في أكثر من ثلاثمئة آية، وحضرت في مدوّنة الثعلبي في سبعين صفحة؛ وهكذا فإن الأحداث التي جاءت مكثّفة متراصة متناسقة في القرآن الكريم؛ أصبحت أكثر توالدًا وتمدّدًا واتساعًا، وهي تنتقل إلى كتب القُصّاص بروافدها الوافدة والمساندة.

والبحث في البنية العميقة يستوقفنا عند جملة من الظواهر منها:

1/ استنبات الدلالة:

تعمل القصة المؤطّرة على تضمين قصة أخرى في أعطافها، وهي كل قصة تحويها قصة أخرى. وقد شاع هذا النوع في القصص القديمة والحكايات الشعبية، فكل ظهور لشخصية جديدة يولّد حتمًا قطع الحكاية السابقة لتروي حكاية جديدة؛ تعلل هذا الظهور، وتُبرّر سلوكًا أو موقفًا أو للإقناع برأي، وتمثيلًا لموعظة أو حكمة وتوضيحًا لهما، ويتخذ شكل قصة مؤطّرة، تستخدمها القصة الإطار حُجّة على وجاهة السلوك، وسلامة الموقف وسداد الرأي، وهي ليست استطرادًا بقدر ما هي عنصر من العناصر المكوّنة للقصة التي تحويها، وإن أهميتها السردية والدلالية لتفوق أحيانًا أهمية القصة الإطار، ومثلما تتولّد القصة المؤطّرة من قصة؛ فبإمكانها أن تولّد غيرها وتؤطره؛ فتصبح مؤطِّرة ومؤطَّرة في الآن نفسه (القاضي، 1989، ص.338).

ومن الملاحظ أنّ قسما كبيرا من قصص الأنبياء جاء على هذا النحو، حيث تُشكّل قصة النبي الإطار أو القصة المؤطّرة للأحداث وما يتخللها من قصص حافة تكون مُستنبتة منها؛ فتظهر القصة من القصة عن طريق تنمية نواة أساسية وتطويرها، ولا تؤثر القصة النامية في سير القصص، ويسمح ظهور القصة الواحدة بسرود كثيرة تنفتح من النواة، ويمكن أن تستنبت القصة الواحدة أكثر من نواة؛ فتنمو قصص الأنبياء وتتضخّم، وجلّها تصب في هدف العظة والاعتبار (الكواز، 2006، ص.201).

فالثعلبي مثلًا في (قصة الخضر عليه السلام وبدء أمره) يورد ثلاث قصص حافة بقصة الغلامين الذين كانا في المدينة، وكان لهما جدار وكان تحته كنز لهما. هذه القصة منبثقة منها، وقعت في أزمان قريبة من زمن الثعلبي؛ ولكن استدعاها وحدة الإطار أو الموضوع والهدف؛ يقول: «أخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سلمة، قال: كانت لي أخت أسنّ مني فاختلطت وذهب عقلها وتوحشّت، وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا، فلبثت كذلك بضع عشر سنة، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور، فبينما ذات ليلة إذ أنا بباب بيتي يدقّ نصف الليل، فقلت: من هذا؟ فقالت: بحة، فقلت: أختي؟ قالت: أختك، فقلت: لبيك، فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من عشرين سنة، فقلت: يا أختي خيرًا، فقالت: خيرًا يا أخي، بت الليلة فأتاني آتٍ في منامي فقال لي: السلام عليك يا بحة، فقلت: وعليك السلام. فقال لي: إن الله تعالى قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة بن كهل بسلمة جدّك، وحفظك بأبيك إسماعيل، فإن شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما– قد تشفّعا لكِ إلى الله تعالى؛ لحبّ أبيك وجدك إياهما، فقلت: إن كان ولا بد من اختيار أحدهما، فالصبر على ما أنا فيه والجنة، وإن الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظم شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي، قالت: فقيل لي: قد جمعه الله لكِ، ورضي عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، فأنزلي فإن الله أذهب ما كان بك. ويُحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وقد همّ بقتله، فلما دخل عليه أكرمه وخلّى سبيله، فقيل له: بم دعوت حتى نجّاك الله؟ قال: قلت: يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه؛ لصلاح آبائي...» (الثعلبي، 2004، ص.73).

وقد استغل الثعلبي كثيرًا من الدلالات؛ بغية تنمية نواة وتأليف قصة، حيث كان لا يترك نواة تصلح إلا ضخّمها، لتكون قصة ملحقة بإحدى قصص مجالسه، ففي قصة (هاروت وماروت) استنبت ثلاث قصص من ثلاث دلالات، فبعد أن انتهى من القصة؛ فإنه أورد اختلاف العلماء في كيفية عذابهما، «فقال ابن مسعود: هما معلّقان بشعورهما إلى قيام الساعة، وقال قائل: كُبّلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما، وقال مجاهد: مُلئ جُبّ نارًا فجُعلا فيه، وقال عمرو بن سعيد: هما معلقان منكّسان في السلاسل، يُضربان بسياط الحديد».

ومن دلالة استمرار عذابهما، روى الثعلبي قصة رجل – غير معروف– قصدهما لتعلّم السحر، فوجدهما معلّقين بأرجلهما مُزرقة أعينهما، مسوّد وجهيهما، ليس بين لسانيهما وبين الماء إلا أربعة أصابع، وهما يُعذّبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله مكانهما، فقال: لا إله إلا الله. فلما سمعا كلامه، قالا: لا إله إلا الله، من أنت؟ قال: رجل من الناس. قالا له: ومن أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ قالا: أو بُعث محمد ﷺ؟ قال: نعم، فحمدا الله تعالى، وأظهرا الاستبشار، فقال الرجل: ومما استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا» (الثعلبي، 2004، ص.79).

تنحاز القصة إلى تفسير كيفية العذاب بالمنع من الماء مع شدة العطش، ولم ترد هذه الكيفية فيما أورد من كيفيات، وهي تُبشرهما ببعثة محمد ﷺ وبانقضاء عذابهما، وربما قصد الثعلبي

استثمار القصة في تمجيد نبوة محمد ﷺ فيكون قد اشتق من دلالة القصة الأولى دلالة القصة الثانية.

وتتجلى البنية العميقة لقصص الأنبياء، من خلال فحص قصة نبي الله (يوسف) عليه السلام عند الثعلبي، وما طرأ عليها من التحوّلات. لقد تميّزت قصة يوسف في القرآن بنسق محكم؛ وهذا ما جعل الدارسين يعدّون هذه القصة نموذجًا متكاملًا لخطاب القصة في القرآن، فقد استغرقت مدى زمنيًّا طويلًا، كما تميّز أسلوبها السردي بالتنويع وتداخل صيغ الخطاب المختلفة. ويمكن القول: إن الطابع الحيوي والحركي لقصة يوسف جعل منها مادة قابلة لاستيعاب مختلف التوليفات والتحوّلات التي تلحقها.

2/ تقسيمات القصة ومفاصلها الكبرى:

أول ما يُثير انتباه القارئ وهو يتصفّح قصة يوسف في كتاب (عرائس المجالس) هيكل القصة، حيث جاءت مؤطّرة بمجموعة من العناوين؛ كالآتي:

عنوان القصة: مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته، عليهم الصلاة والسلام.

الباب الأول: في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام.

الباب الثاني: في صفة يوسف – عليه الصلاة والسلام– وحليته، ونعت خلُقه وصفة صورته.

ويظهر من خلال هذه الهيكلة أن انفتاح أحداث القصة كان مسبوقًا بثلاث موازيات نصية «التمهيد الذي جاء بعد العنوان مباشرة»، ثم الباب الأول، فالباب الثاني، وهي موازيات تتعالق فيما بينها لتتخذ منطلقا وأساسا لقراءة قصة يوسف.

وتتشكّل هذه الأرضية على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول:

يشير العنوان ابتداء إلى علاقة القصة بالمجلس؛ وهو ما يُوحي بطابع التلقي الشفوي، الذي سيكون له أثر بالغ في ظهور التحوّلات التي ستطرأ على النصّ القصصي المرجعي القرآن الكريم، والنصوص المولّدة عنه المضمنة في الكتب التي تأسست في هذه المجالس الشفوية.

ويرتبط الموازي النصي الأول الذي تنفتح به قصة يوسف بقوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [القرآن الكريم، يوسف: 3]، وهي آية في معناها العام تستدعي جوانب متعددة، يتعلق أول هذه الجوانب بأسباب النزول، ودعوة الصحابة الرسول ﷺ ليقصّ عليهم؛ فكانت هذه الآية، وما جاء بعدها من أحداث ترتبط بقصة يوسف، مثلت جوابًا صريحًا ومباشرًا على طلب الصحابة.

أما الجانب الثاني الذي تناولته الآية الكريمة فيعالج إشكالية وسم قصة يوسف بأحسن القصص، واختلاف العلماء في لفظ (أحسن) بين التفصيل والصفة، مع الإشارة إلى بعض الروايات التي صاحبتها، وأبرزها طلب الصحابة من سلمان الفارسي أن يُحدّثهم بأحسن ما جاء في التوراة؛ فكانت قصة يوسف بمثابة الجواب على الطلب طلبهم.

ويتعلق الجانب الثالث بتفسير صفة (أحسن)، فيُحيل على آية من الصورة نفسها ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [القرآن الكريم، يوسف: 7)، إذ إنّ حسنها وجمالها مترشح عن قوة جوابها للسائلين، كما كان حسنها في حسن الجزاء ليوسف وإخوته.

وبناء عليه جاء التمهيد بمثابة الأفق الأول الذي يؤثثه هذا السارد؛ لوضع القارئ في مسار معين وهو يتابع أحداث قصة يوسف، في حين جاء محفزا على استحضار جوانب الحسن والجمال المختلفة التي يمكن للقارئ أن يستشفّها من القصة؛ إذ يعمل السارد على تأسيس أفق أول للقراءة (جبار، 2006، ص. 59).

المستوى الثاني:

يتحدّد المستوى الثاني من الموازي النصي فيما عنونه السارد بالباب الأول: في ذكر نسبه –عليه الصلاة والسلام– ويظهر من خلال عنوانه أن السارد يعمل على تقريب الشخصية من القارئ؛ ومن ثمّ فإنّ تعريفه للشخصية (يوسف) ارتبط بجانبين أساسيين هما هوية يوسف ونسبه، وهو: يوسف بن يعقوب الصفي بن إسحاق الذبيح بن إبراهيم الخليل، عليهم السلام. فضلا عن تحديد معنى الاسم (يوسف)، إذ تم التركيز على اختلاف الفقهاء في أصله إن كان عبريا أم عربيا؛ فأما من عدّه عربيًّا فقد منحه معنى قريبًا مما عاناه يوسف في حياته، حيث أنّ الأسف في اللغة هو الحزن، والأسيف العبد، اجتمعا فيه فسُمّي يوسف، وهو نهج يمنح الاسم حمولة دلالية قبل التعرّف على مصير الشخصية وتحوّلاتها في مسار الأحداث.

وهذا النمط من الموازيات النصية يُضيف عناصر جديدة لأفق التلقي، ويُؤطّر مسار القراءة من خلال صفات علقت بالشخصية؛ كشرف النسب، والكرم، والحزن. ويبدو أن هذه الصفات ستتحقّق في مسار الشخصية القصصية.

المستوى الثالث:

يأتي المستوى الثالث من الموازي النصي مُدعّمًا للمستوى الثاني، ويظهر ابتداء من عنوان الباب (في خصال يوسف – عليه الصلاة والسلام– وحليته وخلقه، صورته). ويتأسس هذا الموازي النصي على آية قرآنية من سورة يوسف تدلّ على انبهار المشاهِد بصورة يوسف ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [القرآن الكريم، يوسف: 30]، ولتوسيع حدث الانبهار؛ كان على السارد أن يستحضر أحداثًا ودعائم تؤكّد ذلك؛ وهكذا نقل أخبارًا عديدة تدلّ على ذلك.

وهكذا يتبيّن من خلال هذه الشواهد والتعليقات التي عرضها السارد، أنها تمتد عبر مساحات زمنية متباعدة، كما تختلف عن الشواهد ذات السند المباشر، التي يحاول من خلالها إبراز

طابع الجمال الخَلقي والخُلقي المميّز ليوسف دون سائر البشرية، والإشارات المتصلة عامة بوصف الجانب الخلقي ليوسف دون أن يعتمد السارد على سند محدد» فكان حسن يوسف كضوء النهار، وكان يوسف أبيض اللون جميل الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلقة، غليظ الساقين والعضدين والساعدين، خميص البطن، أقنى الأنف، صغير السرة، لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه السلام» (الثعلبي، 2004، ص. 111).

هذا المقطع جاء مجردًا من الإسناد الروائي، فما إن نتأمله جيدًا حتى نلاحظ أن الوصف موجها نحو صورة يوسف الخَلْقية مفصلا في هيئتها، حيث يُتوّج هذا الوصف قول السارد: «لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه السلام»؛ وبالتالي يُوضع القارئ أمام صورتين متعارضتين، الأولى: تقريب الصورة الخَلقية ليوسف من خلال ملامح متعددة يحدّدها المقطع الوصفي، والثانية: الإشارة إلى عجز بني آدم عن وصف جمال يوسف؛ ويفترض أحد الموقفين: إما إحساس السارد أن ما قدّمه حول جمال يوسف وصورته ناقص وغير تام؛ وبالتالي ترجمة الصورة البصرية إلى صورة لغوية لفظية اعتراها نوع من التحوّل والنقص؛ فاعترف ضمنيًّا بهذا النقص من خلال إعلان عجز بني آدم عن وصف صورة يوسف. أو التلميح إلى الجمال الخارق ليوسف الذي لا يضاهيه فيه أحد، وأنّ ما قدّمه في وصفه جزء من مما يستحيل وصفه.

وسواء كان الوضع الأول أو الثاني هو ما يقصده السارد بوصفه كما ارتآه له الثعلبي؛ فإن ذلك الموقف لن يطفئ نزعة القارئ في المقارنة بين ما جاء في هذا المقطع الوصفي من صور تبرز مكامن الجمال في يوسف النبي، وما ألفه القارئ في الثقافة العربية عامة، وفي الشعر العربي خاصة من صور تصف الجمال، خصوصًا كما في شعر الغزل والنسيب. ومن خلال الموازنة بينها يتبيّن أن مخيلة الثعلبي تدخّلت بصورة سافرة لتستغل مخزونها الثقافي والأدبي من الثقافة العربية؛ لتضع صورة لما يمكن أن نسميه بـ(الجمال النموذج) الذي يقدمه الشعر العربي في العديد من المواضع.

وهكذا تتراكب البنى وتكبر في كتاب الثعلبي، عبر محافظته على الهيكل العام لقصة النبي يوسف كما جاءت في النص القرآني، ثم إعادة توزيع الأحداث بطريقة تبرز تصوّرهم لكيفية حدوثها، ومن هذا التوظيف المقصود أو غير المقصود للتراكمات الثقافية العربية؛ لإنتاج نص قصصي أكثر إثارة وحيوية وتشويقًا (جبار، 2006، ص.65)؛ لذلك جاءت الأحداث منتظمة مترابطة الحلقات متسلسلة تُفضي نهاية الوحدة السابقة إلى بداية الوحدة اللاحقة.

وأكثر ما ظهر نضج قصص الأنبياء الفني، وما أحدثته في النص من تحولات في بناها، في ثلاث قصص هي: قصة آدم عليه السلام وقصة موسى عليه السلام وقصة يوسف عليه السلام -كما أسلفنا- . حيث تطوّرت قصة نبي الله موسى عليه السلام عند الثعلبي، وتكوّنت من عدد من القصص الفرعية، وتوزّعت كالآتي:

- قصة قتل موسى للقبطي وخروجه من مصر.
- قصة موسى وهارون مع فرعون والسحرة.
- قصة حزقيل.
- قصة إسراء موسى ببني إسرائيل.
- قصة ملاقاة موسى لربه.
- قصة عبادة العجل.
- قصة قارون وموسى.
- قصة موسى والخضر.
- قصة البقرة.

والقصة نفسها في مصنف ابن كثير توزعت على الشكل الآتي:

- قصة عبادة العجل.
- قصة بقرة بني إسرائيل.
- قصة موسى والخضر.
- قصة قارون وموسى.

وهكذا انتقلت قصة نبي الله موسى عليه السلام من قصة بسيطة البناء إلى أخرى معقّدة التركيب، عبر توالد عدد من القصص الفرعية الصغيرة المضمّنة فيها. ويظلّ الخيط الناظم بين هذه القصص الفرعية والقصة الرئيسة جملة من الأمور، منها: الشخصية المحوريّة، والبنية العامة التي تُصاغ في قالبها جميع القصص، والشخصية الرئيسة، والبنية الرئيسة في قصص الأنبياء بنية واحدة تتكرر في جميع القصص غالبًا، ويتفرّع عنها بنى جزئية متراكبة تُفضي إحداها إلى الأخرى.

أما البنى السطحية: فهي الغالبة وهي أن ترد قصة النبي مُجملة من غير تفصيل، دون تكلّف أو إطالة، ليس فيها عمق في الأحداث أو الوصف أو المشاهِد أو المرويات، وإنما تُدرج لأنها قصة نبي يستلزم ترتيب النبوات وتسلسلها ذكرها، وهي كثيرة في كتاب عرائس المجالس، ومن الأمثلة على ذلك قصة نبي الله (إدريس)، فهي قصيرة في حجمها وأحداثها، وقد تطول القصة؛ ولكنها مع ذلك ذات بنية سطحية، فهي لا تعدو ذكر نسب النبي، ثم معجزته، ثم مصير قومه أو العقاب الذي حلّ بهم، ثم وفاته، من غير تشعّب أو تفريع في الأحداث والأخبار، كما في قصة (شيث) عليه السلام وهي من القصص القصيرة، التي لم ولم يفرد لها الثعلبي مجلسًا.

الخاتمة:

شكّل القصص القرآني مادة حيوية غنية للرواة في عصر الثعلبي وما تلاه؛ فجعلوا منه مصدرًا ومنطلقًا لخيالهم وإبداعاتهم السردية، مدعمين ذلك بما تسرّب إلى الثقافة العربية الإسلامية من أفكار وقصص من الثقافات المجاورة والديانات الأخرى، وقد

أسهم ذلك مجتمعًا في إضفاء حُلّة جديدة على مدوّنات قصص الأنبياء بالزيادة والتنويع والتفسير والثراء.

انساق الثعلبي خلف فتنة القصّ وغواية السرد، انطلاقا من تخيره عنوان كتابه، وظهر ولعه بالقصص والأخبار العجيبة، فخصّص لذكرها مكانًا كبيرًا، حتى أنّ من يطّلع على كتاب الثعلبي يرى اهتمامه بالقصص، وتوسعه فيها بسرد الإسرائيليات بدون تمحيصها أو نقدها، كما تميّز الثعلبي عن أهل زمانه وسابقيه في هذا النّوع من القصص بعدة خاصيات أبرزها؛ التكثيف والإطالة في الوصف، التوسع في نقل الأساطير والخرافات، الخيال الخصب، والأسلوب السردي المحكم.

وكثيرًا ما يخرج الثعلبي عن الإسناد، منزاحًا عن غاية العظة والاعتبار إلى غاية الإمتاع وأسر القارئ بجمالية نصه، وقد خوّل له تحرره من قيد الإسناد أن يأسر القارئ بخياله ويهيئه ليندرج في فتنة النص وما ينشئه من عوالم وأخيلة؛ لأن لذة نص الثعلبي لا تتأتى إلا من هذا الخيال الخصيب المدهش.

إنّ أهم ما يميز قصص الأنبياء عند الثعلبي في مستوى البنى العميقة سمتان: البنية التي تؤسَّس عليها القصة، والمادة التي تُصاغ منها، وقد تبيّن أن بنية قصص الأنبياء بنية واحدة تتكرر في جميع القصص تقريبًا، فتُساق جميع القصص على المنحى نفسه غالبًا، وجميعها تستقي من مادة واحدة (القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأقوال البشر)، ويأتي التباين فيما تضيفه من: دمج للقصص، وتدرُّج في نقل الأحداث، أو تكرارها، أو الاستطراد والإضافة.

ويتضح مما سبق أن تداخل مستويات السرد وتعددها الظاهر لم يأت اعتباطيًا؛ بل كان منبثقًا من قصص الأنبياء، فتركيب القصص أولًا، وطبيعتها ثانيًا، هما اللذان منحاها قابلية استيعاب أكبر عدد ممكن من القصص.

وأخيرا فإن «قصص الأنبياء» بنيت على نظام خاص من نصوص مختلفة ومتباعدة أو متنافرة أحيانًا؛ يمكن أن تحيل على تركيبة المجتمع وأوضاعه المضطربة والمختلفة، تلك التي عايشها الثعلبي في القرن الرابع الهجري وبدايات القرن الخامس، وهي تعبر عن تفاوت في طبقات المجتمع العربي الإسلامي، انعكس في البنية القصصية لدى الثعلبي، وعبرت عن تجليات الثقافة العربية الإسلامية التي انصهرت فيها تيارات فكرية كثيرة وحّدها الإسلام.

إنّ دراسة بنية السرديات القديمة، خصوصا في مدونات قصص الأنبياء، وهي كثيرة؛ لتكشف عن تأثرها وتأثيرها على الحياة الفكرية والثقافية والأدبية وتتبع تطورها عبر العصور.

المراجع:

إبراهيم، عبد الله. (1992). السردية العربية. المركز الثقافي العربي.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1980). مقدمة في أصول التفسير. دار مكتبة الحياة.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. (1986). منهاج السُّنَّة. تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (1414). لسان العرب (ط.3)، دار صادر.

الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي. (2002). طبقات الشافعية. تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية.

بروكلمان. (1994). تاريخ الأدب العربي (ط.4)، دار المعارف.

تودوروف، تزفيتان. (1996). الأدب والدلالة (محمد نديم، مترجم). مركز الإنماء الحضاري.

تودوروف، تزفيتان. (1994). نظرية المنهج الشكلي. مؤسسة الأبحاث العربية.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد. (2004). قصص الأنبياء، المسماة عرائس المجالس. دار الفكر للطباعة والنشر.

جبار، سعيد. (2006). التوالد السردي. جذور للنشر.

الجزار، محمد فكري. (1998). العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي.

الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي. (1983). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف.

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد. (1982). طبقات المفسرين. دار الكتب العلمية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. (2006). سير أعلام النبلاء. دار الحديث.

الذهبي، محمد السيد حسين. (2000). التفسير والمفسرون. مكتبة وهبة.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب. (1413). طبقات الشافعية الكبرى. (تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو)، (ط.2)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

الضامر، سمير. (2009). قصص الأنبياء في التراث العربي: تحليل سيميائي سردي [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة مؤتة. الأردن.

العجيلي، كمال عبد الرزاق (1971). البنيات الأسلوبية في مطولات الشعر العربي الحديث. دار الكتب

العلمية.

العمامي، محمد نجيب. (1998). الراوي في السرد العربي المعاصر. دار المعرفة للنشر.

عبيد، محمد صابر. (2002). شعرية الخطاب وإشكالية التجنيس: قراءة جمالية في رسالة عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب. *مجلة المورد*، بغداد، 30(2)، 48-51.

قاشا، سهيل. (1998). أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية. بيسان للنشر.

القاضي، محمد والخيو، محمد والسماوي، أحمد والعمامي، محمد نجيب وعبيد، علي وبنخود، نور الدين والنصري، فتحي وآيت ميهوب، محمد. (2010). معجم السرديات. دار محمد علي.

القاضي، محمد. (1998). الخبر في الأدب العربي. دار الغرب الإسلامي.

الكبيسي، طراد. (1999). عناوين الكتب بين القديم والحديث. بين الجمالية والدلالة. *مجلة عمان*، (45)، 30

الكعبي، ضياء. (2005). السرد العربي القديم. المؤسسة العربية للدراسات.

الكواز، محمد. (2008). مملكة الباري. مؤسسة الانتشار العربي.

كيليطو، عبد الفتاح. (1988). الحكاية والتأويل. دار توبقال.

المطوي، محمد الهادي. (1999). شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، *مجلة عالم الفكر*، (1)، 455-501.

مرداس، عبد الباسط. (2007). المتخيل الطليق في كتاب عرائس المجالس. موقع أنفاس.

مرداس، عبد الباسط. (2013). رحلة مع كتاب عرائس المجالس في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي. بموقع الألوان: http://www.alawan.org/article11804.html

النصير، ياسين. (2010). الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي. دار نينوى.

وهبة، مجدي. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. مكتبة لبنان.

al-Ḍāmir, Samīr. (2009). qiṣaṣ al-anbiyā' fī al-Turāth al-'Arabī : taḥlīl symyā'y Sardī (in Arabic) [Risālat duktūrāh ghayr manshūrah]. Jāmi'at.

al-Kubaysī, Ṭarrād. (1999). 'anāwīn al-Kutub bayna al-qadīm wa-al-ḥadīth. bayna al-Jamālīyah wa-al-dalālah. (in Arabic) Majallat 'Ammān, (45).

al-Maṭwī, Muḥammad al-Hādī. (1999). shi'rīyah 'unwān Kitāb al-sāq 'alá al-sāq fīmā huwa al-Fāriyāq. (in Arabic). Majallat 'Ālam al-Fikr, '1

'Ubayd, Muḥammad Ṣābir. (2002). shi'rīyah al-khiṭāb wa-ishkālīyat al-tajnīs : qirā'ah jamālīyah fī Risālat 'Amr ibn al-'Āṣ ilá 'Umar ibn al-khiṭāb. (in Arabic). Majallat al-Mawrid, Baghdād, (2).

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences
At Hail University

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

Seventh year, Issue 24
Volume 2, December 2024

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658